

## حرب غزة

### زلزال سياسي-عسكري (الأسباب-آفاق المستقبل)

أحمد زكريا الخنسا

#### وقائع ما حصل:

ليس هنالك رواية واضحة وكاملة لما حدث في السابع من شهر أكتوبر ٢٠٢٣، ولكن هنالك روايات متفرقة للأحداث التي حصلت في ذلك اليوم، سنحاول ربطها معا للحصول على صورته كاملة لما حصل .

عند الساعة الرابعة من فجر ٧ أكتوبر الماضي، صدرت الأوامر الأولى من قادة حماس في قطاع غزة، بأن "أي شخص كان حاضراً في الدورات التدريبية، ان يذهب الى صلاة الفجر في المسجد الذي اعتاد الذهاب إليه (وهذا ما كان يحصل دائماً مما لم يثر حفيظة أجهزة الامن الاسرائيلية)، وهكذا كانت أولى رسائل انطلاق "ساعة الصفر" .

وبعد ساعة، مع بزوغ الفجر في غزة، بدأت مجموعات من مقاتلي حماس بالتفرق، وصدرت تعليمات جديدة واضحة، ولكن هذه المرة نقلت شفهيًا: "أحضروا أسلحتكم وأي ذخائر لديكم، وتجمعوا في الأماكن المحددة" . إن مقاتلي حماس تم تزويدهم بذخائر إضافية وأكثر قوة عقب تلقي الرسالة، وسرعان ما تمكنوا من حمل القنابل اليدوية والصاروخية، والرشاشات الثقيلة، وبنادق القنص، والمتفجرات. كما أشير إلى أن العديد من مقاتلي حماس تعاملوا مع أسلحة مماثلة خلال الأشهر الماضية، وكانوا يعيدونها إلى مخازن الحركة بعد كل تدريب لذلك اعتبر الجميع انه تدريب روتيني. وفي السادسة صباحاً، صدرت الأوامر النهائية، ولكنها كانت مكتوبة في هذه المرة، ونصت على أن يتحرك الرجال بسرعة عبر الفتحات التي ستحدث في السياج المحيط بغزة، عن طريق التفجير أو التحطيم، ثم الهجوم على الإسرائيليين في الجانب الآخر.

(\*) باحث لبناني في  
الشؤون الاستراتيجية

### انقسم المقاتلين الى مجموعات رئيسية:

١- **قوات المدفعية والصواريخ** : قامت هذه المجموعات بقصف عنيف للمواقع العسكرية بالمدفعية والصواريخ بحوالي خمسة آلاف قذيفة وصاروخ في حوالي خمسة ساعات (أي ألف مقذوف في الساعة) ، وهذا أدى الى هروب الجنود الى الملاجئ واختبأهم داخل الدشم في حال من الرعب والخشية حتى من النظر من فتحات الدشم الى الخارج.

٢- **قوات القناصة**: قامت قوات القناصة بتدمير جميع الكاميرات المنصوبة على الجدار العازل للحماية المستوطنات، وإعفاء أنظمة المراقبة. ( قال متحدث باسم الجيش الإسرائيلي لوكالة فرانس برس إن قناصة أطلقوا النار على نقاط المراقبة المنتشرة على طول السياج الذي يبلغ طوله ٦٥ كيلومترا، في اللحظات الأولى للهجوم. وقالت جندي كانت متمركزة في نقطة مراقبة إن المسلحين الفلسطينيين بدأوا بإطلاق النار على كاميرات المراقبة، ووصل الأمر إلى نقطة لم يعد بإمكاننا فيها مراقبة الحدود).

٣- **قوات المسيرات**: قامت قوات المسيرات بالهجوم على جميع أبراج المراقبة المجهزة برشاشات تعمل اتوماتيكيا من غرفة المراقبة، التي اضحت لا ترى شيئا بعد تدمير كاميرات المراقبة، أدت الى تدمير هذه الابراج او على الاقل تعطيل الرشاشات الاوتوماتيكية.

٤- **مجموعات فتح المنافذ في الجدار**: قامت مجموعات بفتح منافذ في الجدار للسماح للمقاتلين للدخول بكثرة الى غلاف غزة .

٥- **مجموعات الهجوم على المعسكرات**: قامت مجموعات الهجوم على المعسكرات بمهاجمتها حسب الخطة الموضوعية، ولكن المفاجأة كانت بسقوط المعسكرات بايدي مقاتلي حماس بسرعة وسهولة. وكانت الاشتباكات داخل جدران المعسكرات وداخل المخابئ بدل الاشتباك بين الداخل والخارج، مما أدى الى مقتل المئات من الجنود وجرح المئات وأسر المئات حيث قام جزء من المجموعات المهاجمة بنقل الاسرى الى قطاع غزة. (قالت جندي مصابة، في مقابلة تلفزيونية من سريرها في المستشفى أنها كانت متمركزة في مهمة مراقبة في ناحال عوز في الجانب المقابل لمدينة غزة عندما انطلقت الصواريخ الساعة السادسة والنصف بتوقيت غرينتش.

وأضافت الجندي التي فضلت أن تعرف باسم "ي" للقناة ١٢ الإسرائيلية إن نحو ٣٠ مسلحا احتلوا بسرعة قاعدة الجيش وسيطروا عليها لمدة سبع ساعات.

وبينما سقطت الصواريخ لمدة ساعة، احتفى الجنود بينما اجتاح المسلحون القاعدة. واستذكرت المشهد قائلة: " ركضت حافية القدمين إلى الملجأ، وبعد ساعة، بدأنا

نسمع أصواتا بالعربية، وبدأوا بإطلاق النار عند المدخل وتحولت القاعدة لساعات الى معسكر لهم، الى أن استعادتها وحدة خاصة من الجيش الإسرائيلي".

**٦- قوات امنية خاصة:** بعد انهيار معسكرات الحماية تحركت قوات امنية خاصة مزودة بلوائح وعناوين مراكز امنية علنية وسرية ومنازل كبار الضباط في الجيش والامن، حيث تم اعتقالهم من منازلهم، وتفريغ المقرات الامنية والعسكرية من جميع المعلومات والمستندات الموجودة.

ان انهيار قوات غلاف غزة وعدم وجود اي رد فعل من الجيش الاسرائيلي الذي اصيب بالجمود جعل هذا الغلاف مستباحا من الجميع، وهنا دخلت قوات كبيرة من المقاتلين من جهات متعددة وقامت باحتلال المستوطنات وأسر بعض المستوطنين والتحصن بهم في بعض الاماكن ونقل البعض الاخر الى غزة للتفاوض عليهم لاطلاق معتقليهم، كما دخل بعض المدنيين المسلحين باسلحة فردية بالدخول لأسر رهائن (للجميع معتقلين عند اسرائيل).

مرت عدة ساعات قبل أن يتمكن الجيش من فهم حجم الوضع في البلدات الحدودية، وإرسال قوات كافية للتغلب على المسلحين. لكن الموقف كان صعبا، لم يعد هنالك مكان لارسال التعزيزات لقد سقطت المواقع كلها ولم يعد من الممكن ارسال تعزيزات لجدار غزة بل تم تعزيز الاماكن التي لم يتم وصول المسلحين اليها. وبدأت حملة عسكرية لاسترجاع المستعمرات الاسرائيلية أما تأديب غزة فكان بحاجة الى قوات كبيرة غير متوفرة، لذلك تم استدعاء ٣٥٠٠٠٠ جندي احتياط .

المعضلة المستجدة كانت في العدد الكبير من المسلحين في كل مكان في المستوطنات بجهوزيه عالية لصراع طويل مع الجيش الاسرائيلي، مما يعني ان تحرير المستوطنات سيستغرق وقتا طويلا ويظهر الجيش الاسرائيلي بمظهر العاجز المنهار خاصة بعد عملية غزة، لذلك اتخذ القرار بقتل المسلحين مع الرهائن باستعمال الاسلحة المناسبة (دبابات، طائرات هليكوبتر، وكل ما يلزم لانتهاء حالات احتجاز الرهائن في المستوطنات). ان ٨٠٪ على الاقل من المدنيين الاسرائيليين قتلوا بسلاح الجيش الاسرائيلي اثناء استرجاع المستوطنات . وان الاسلحة الفردية التي كان يحملها المقاتلين المهاجمين من المستحيل ان تسبب هذا النوع من الاضرار في عدد من الابنية التي لا يمكن ان تسببها الا المدفعية المباشرة والصواريخ الموجهة من طائرات الهليكوبتر.

(مقالة باللغة العبرية نشرتها صحيفة هآرتس في ٢٠ أكتوبر، والتي تظهر باللغة الإنجليزية فقط، ترسم قصة مختلفة تماما عما حدث في بئيري في ذلك اليوم. أحد سكان الكيبوتس الذي كان بعيداً عن منزله، والذي قتلت شريكته في الاشتباك،

يكشف تفاصيل جديدة مذهلة ويرتجف صوته عندما تتبادر إلى ذهنه شريكته التي كانت محاصرة في ملجأ منزلها في ذلك الوقت. ووفقاً له، فقط في ليلة الاثنين (٩ أكتوبر) وبعد أن اتخذ القادة الميدانيون قرارات صعبة، بما في ذلك قصف المنازل مع جميع سكانها من أجل القضاء على (الإرهابيين حسب تعبيره) والرهائن، أكمل الجيش الإسرائيلي الاستيلاء على المدينة الكيبوتس. وكان الثمن باهظاً: قتل ما لا يقل عن ١١٢ شخصاً من البئيريين. وبالأمس، وبعد ١١ يوماً من الجزرة، عثر على جثتي أم وابنها في أحد المنازل المدمرة. ومن المعتقد أن المزيد من الجثث لا تزال تحت الأنقاض).

أعلنت صحيفة هآرتس الاسرائيلية ان حماس لم تكن تعلم بالحفل الموسيقي وان الحفل قد هوجم من قبل طائرات الهلوكوبتر الاسرائيلية معتقدين بأنهم من حماس وهذا الهجوم ادى لقتل ٥٠٠ اسرائيلي حسب الانباء الاولى و ٢٥٠ اسرائيلي حسب الجيش الاسرائيلي.

**ان هذا القرار من القيادة العسكرية سيؤدي الى تعقد الوضع السياسي والعسكري للداخل الإسرائيلي، كما ان نتائج عملية طوفان الأقصى كانت تفوق كثيرا توقعات الجميع حتى المخططين لها وهي على الشكل التالي:**

١- انهيار فرقة غزة: المؤلفة من ٢٠ الف جندي جيدة التدريب والتجهيز امام ١٥٠٠ مقاتل قليلي التجهز تعتبر اهانة للجيش الاسرائيلي وقادته، وانهيار لنظرية الجيش الذي لا يقهر. ففرقة غزة العسكرية في جيش الاحتلال الإسرائيلي تحمل الرقم "٦٤٣"، وتعمل تحت امرة المنطقة العسكرية الجنوبية، ومقرها قاعدة رعيم التي تبعد عن قطاع غزة ٧ كيلومترات، وتكمن مهمتها في حراسة الحدود المتاخمة لقطاع غزة وادارة عمليات الاغتيال وتدمير الانفاق التي تكتشفها في غلاف غزة، وتضم لواءين: شمالي وجنوبي. وبالنسبة لقاعدة " رعيم " مركز قيادة فرقة غزة فقد كانت من أول الأهداف التي استهدفتها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، مع انطلاق معركة طوفان الأقصى.

وأعلنت حماس في أول يوم من العملية في ٧ أكتوبر أن فرقة غزة سقطت بكاملها. فكيف سيواجه الجيش الاسرائيلي عشرات الآلاف من المقاتلين على الجبهة مع لبنان ذات الجهوزية والتدريب العالي، التي قاتلت مختلف انواع القوات المعادية (الجيش الاسرائيلي، داعش، النصرة،...) وقاتلت مع مختلف القوى في جبهة واحدة (الجيش السوري، الجيش العراقي، الجيش الروسي، وجميع المجموعات في محور المقاومة) وفي جميع التضاريس الارضية والمناخات الصعبة (من الصحراوي في تدمر الى الجبلي في القلمون). فاذا استطاعت حماس اختراق ٣٠ كلم داخل جدار غزة في

ساعات، فما الذي يمنع مقاتلي حزب الله من الوصول الى حيفا، وما بعد حيفا في ساعات؟.

**٢- انهيار جدار غزة:** أحد العناصر الأساسية التي شكلت مفهوم الجيش الإسرائيلي لمواجهة المقاومة في قطاع غزة هو "العائق"، فقد تم تحطيم الجدار المحيط بغزة والذي استثمرت المؤسسة العسكرية، بتوجيه من الحكومة، ما يقرب من ٣,٥ مليار دولار في بناء المشروع، وهو جدار علوي وتحت الأرض لسد أنفاق حماس الهجومية بشكل محكم. وقد غطى الجيش الإسرائيلي الجدار بمجموعة متنوعة من إجراءات المراقبة والتدابير التكنولوجية، المصممة لمنع اختراق الحدود أو أي اقتراب منها. وشملت هذه التدابير كاميرات متطورة وبالونات مراقبة وأجهزة استشعار ورادارات من مختلف الأنواع.

وكان اعتقاد الجيش الإسرائيلي أن الوسائل التكنولوجية المنتشرة حول الجدار ستكون كافية لصد هجمات حماس دون الحاجة إلى نشر قوات عسكرية كبيرة في المنطقة الحدودية نفسها. في الواقع، روج الجيش الإسرائيلي في السنوات الأخيرة لمشروع "حديقة الحيوان"، الذي تغير لاحقاً إلى مشروع "حدود ذكية وقاتلة"، والذي كان هدفه النهائي هو تحويل السياج الحدودي إلى مساحة تسيطر عليها الطائرات المسيّرة والمراقبون بشكل كامل، هذا إلى جانب الروبوتات المسلحة من نوع "جاغوار" التي تعرف كيفية القيام بدوريات في المنطقة بشكل مستقل وإحباط عمليات التسلّل.

ان سقوط هذا الجدار جعل الجيش الإسرائيلي في مأزق لا فكاك منه، فهو لا يستطيع الاعتماد كلياً على التكنولوجيا في مواجهة القدرات البشرية للمقاتلين والتعامل معها بسهولة كما حصل في العملية، ولا يستطيع الاعتماد على العنصر البشري الجبان الذي كان اداؤه عند وقوع الازمة غير مشرف بتاتاً.

**٣- هجرة معاكسة واستنزاف اقتصادي:** نتيجة لهول العملية، فقد أرعبت المستوطنين في شمال وجنوب فلسطين، وبدأوا في الهجرة المضادة واخراج اموالهم من فلسطين، مما دفع البنك المركزي الاسرائيلي الى صرف ٣٥ مليار دولار لمنع انهيار الشيكل.

مع الهجرة المضادة وشعور الاسرائيليين بالخطر، خشيت الدول الغربية من امكانية انهيار الدوله الاسرائيلية فارسلت معظم الدول الاوروبية وامريكا اساطيلها الحربية كرسالة طمأنة للاسرائيليين باننا هنا لحمايةكم.

**٤- فشل الاجهزة الامنية المحلية والاجنبية والاجهزة العسكرية في اكتشاف عملية طوفان الاقصى قبل حصولها والخطر عدم قدرتهم على التعامل**

سريعاً مع ما حدث الا بعد انهيار حزام غزة بالكامل .

٥- فشل القيادة السياسية في التوقع ان سياسة التشدد الكامل ستؤدي الى رد فعل غير متوقع.

#### ٥- اختراق فعال للامن الاسرائيلي عبر:

أ-اعتقال عدد من قيادات الجيش الاسرائيلي وعلى رأسهم قائد المنطقة الجنوبية وما يمكن ان يدلي به من اسرار امنية وعسكرية.

ب-اقتحام معبر اريئتز ومصادرة الملفات اجهزة الكمبيوتر وما تحتويه من معلومات عن العملاء داخل غزة والضفة الغربية . ان لذلك تداعيات كبرى على قدرة الاجهزة الامنية على تجميع المعلومات عن عناصر المقاومة وعملياتهم.

ج-اقتحام موقع يركون:اقتحمت وحدة خاصة من حماس منشأة سرية بالقرب من منطقة اوريم تسمى يركون وهي من اهم قواعد التجسس بالعالم، اسست بالتعاون مع الاعين الخمسة وهو أقوى تحالف استخباراتي في العالم بين خمس دول ناطقة بالإنجليزية، وهي بريطانيا والولايات المتحدة وأستراليا وكندا ونيوزيلندا، ولا يقبل بانضمام اي دول أخرى غير ناطقة بالانجليزية. وتستخدم برنامج بيغاسوس الذي تنتجه شركة (NSO) الاسرائيلية لتجسس على اي خليوي يراد اختراقه وهو برنامج فعال جدا ولقد تم اكتشاف اختراقه لعدد كبير من الهواتف المحمولة بينها هواتف رؤساء دول وشخصيات عالمية. ان المعلومات المجمعّة من الاعين الخمسة لا يجري تداولها حتى مع دول الناتو. فهل اسرائيل هي العين السادسة؟ اذا كان كذلك فان المعلومات التي حصلت عليها حماس من هذه القاعدة تفوق في تداعياتها احداث ٧ اكتوبر. كانت فرقة المقاومة تابعة لحماس توغلوا في عمق الجنوب بعيداً عن السياج المخترق واقتحموا القاعدة. وكان لدى هذه الوحدة معلومات استخباراتية شاملة وخرائط ومركبات واتصالات وتسليح ووسائل أخرى.

المأزق: ان الزلزال الذي حصل في ٧ اكتوبر قد ادى الى هز الشرق الاوسط والعالم ووضع الجميع في مأزق نذكر جملة منها فيما يلي :

١- بعد ما جرى في ٧ اكتوبر والهزيمة المذلة للمؤسسة العسكرية والامنية الاسرائيلية، لم يعد من الممكن القيام بعملية عسكرية محدودة لعدة ايام يتم بعدها وقف لاطلاق النار كما هي العادة، لذا، سيتعين على إسرائيل أن تستخدم استراتيجيات عسكرية مستوحاة من انماط الحروب الطويلة، تترافق مع حملة لمكافحة التمرد تمتد لسنوات طويلة وتتضمن أيضاً أدوات دبلوماسية ومعلوماتية واقتصادية. والسؤال هنا:

أ- هل ستستطيع اسرائيل ذلك وهي معتادة على الحروب القصيرة؟ .هل ستستطيع

الاستمرار طويلا في حشد القوات البشرية الازمة وهي محدودة؟، وهل سيستطيع الجيش الاسرائيلي تحمل الخسائر البشرية المادية؟ .

ان راس الحربة في المعارك ضد حماس هم القوات الخاصة وقوات المظليين، وهم قوات محدودة العدد لا يمكن استبدالها بسهولة وهذه القوات تتعرض لاصابات خطيرة ومعدل وفيات مرتفع، حيث القتال من مسافة صفر، وكل يوم يتحدثون عن ضابط رفيع متوفي كانه لا يوجد في الجيش الا الضباط، بينما في الحقيقة عدد الوفيات مرتفع جدا فقد اعلن مدير مدافن الجيش الاسرائيلي انهم يقومون بدفن عدد كبير من الجنود بمعدل جندي كل ساعة . ان هذه القوات معروفه بشدة التدريب ، فالاصابة القاتلة هي في الوجه وهي لا تمثل الا جزء من الاصابات ، اما الاصابات الاخرى فتؤدي الى الخروج من المعركة كجريح او كمعاق، وهي في الاشتباكات المباشرة ة اضعاف القتلى على الاقل . عمليا نتحدث عن خروج ٥ جنود من ساحة القتال في الساعة . (هذا وما يزال الجيش الاسرائيلي على اطراف غزة فكيف اذا توغل في الاحياء الداخلية فان الارقام ستضاعف مع كل توغل). ان الجيش الاسرائيلي لا يستطيع تحمل هذا العدد من الاصابات واذا استمرت الحرب طويلا فسنشهد ان الجيش الاسرائيلي سيتصرف مثل الجيش الاوكراني اعتقال الناس في الشارع واخذهم الى الجبهات ليموتوا. هذا جنون مطلق من القيادة العسكرية والسياسية الحاكمة التي تحكم تصرفاتها التعاليم التوراتية " انهم شعب الله المختار " ولا يعترفون بالوقائع وموازن القوى.

حسب موقع RT الروسية فقد اعلنت ان الجيش الاسرائيلي فقد ٤٠٪ من دبابات ميركافا ٤ ، وبذلك اصبح مضطرا للعودة لاستخدام ميركافا ٣ التي وضعت في المخازن بعد ادائها المحدود في حرب تموز مع حزب الله ٢٠٠٦ ، وكانت هذه الدبابات قد تم التعاقد على بيعها لليونان وقبرص وتم الغاء العقد لحاجة الجيش الاسرائيلي لاستخدامها. ان هذه الدبابة اقل اداء وحماية من ميركافا ٤ وهذا يعني اصابات اكثر في الدبابات والجنود.

ب- المدة الزمنية التي يتحملها الاقتصاد الاسرائيلي قبل انهياره. المفاجأة التي تلقتها إسرائيل في ٧ اكتوبر من حماس أمنيا وسياسيا اثرت بشكل مباشر على اقتصادها. ومن أبرز القطاعات المتأثرة جراء الحرب الدائرة حاليا هي قطاعات الصناعة والتكنولوجيا والطاقة والبنوك والسياحة والطيران والزراعة.

وفي إطار استعدادها للانتقام من المقاومة استدعت الحكومة الإسرائيلية ٣٦٠ ألف جندي من قوات الاحتياط لينضموا لـ ١٥٠ ألفا هم قوام الجيش الإسرائيلي. وهو أكبر استدعاء إسرائيلي لقوات الاحتياط منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما واجهت

إسرائيل حرباً من جبهتين الأولى مصرية من الجنوب والأخرى سورية من الشمال. ومن شأن هذا الاستدعاء أن يضر كثيراً بالاقتصاد الإسرائيلي، فهذه الأعداد الكبيرة تحتاج إلى تجهيزات وغذاء ومأوى، إلى جانب سحبها من سوق العمل وتعطيل الأعمال التي كانت تقوم عليها وحتى لا تكون الخسائر الاقتصادية كبيرة عادة تحرص إسرائيل عدم الدخول في حرب طويلة. حيث إن مئات الألوف من قوات الاحتياط هذه يعملون بالأساس في قطاعات الصناعة والنقل والتعليم والاتصالات والطاقة والأكل والبنوك.

**قطاع التكنولوجيا:** كمثال على تأثر الاقتصاد بالحرب، فإن قطاع التكنولوجيا الذي يشغل ١٤٪ من القوى العاملة. وسحب القوى العاملة في هذا القطاع لفترة طويلة سيؤثر في قدرته على الاستثمار من ناحية، ومن ناحية ثانية سيقبل من جاذبية المستثمرين الأجانب فيه. وكان قطاع التكنولوجيا في إسرائيل قد جذب خلال العام الجاري استثمارات من صناديق سيادية بنحو ٥,٥ مليارات دولار. وفي أول ١٠ أيام وحسب اتحاد أرباب الصناعة فقد مُني سوق العمل الإسرائيلي بسبب عدم الوصول إلى أماكن العمل وعدم الإنتاج بخسارة نحو ٤,٦ مليارات شيكل (١,٢ مليار دولار).

وحتى بالنسبة للأيدي العاملة غير المستدعاة للانخراط في الحرب، فإن إنتاجيتها وعملها غير منتظم، فهناك فجوات بسلسلة الإنتاج وهناك دائماً قلق من توجيه المقاومة صواريخها. وعند سماع صفارات الإنذار يهرعون لمغادرة العمل والذهاب إلى الملاجئ، وهو ما من شأنه أن يعطل أو يعرقل عجلة الإنتاج.

وفي ظل هذه الأوضاع توقف أكثر من ١٣٠ ألف عامل من الضفة الغربية عن العمل في إسرائيل، ومعظمهم يعملون في مجالي الزراعة والبناء، مما دفع وزير الاقتصاد الإسرائيلي نير بركات، إلى السعي لتمديد قرار في الحكومة من أجل جلب ١٦٠ ألف عامل أجنبي، وخاصة من الهند، ليحلوا مكان العمال الفلسطينيين.

وفي الأسبوع الأول من الحرب قدر بنك هبوعليم (أكبر بنك إسرائيلي) أن المعركة ضد المقاومة في غزة ستكلف إسرائيل في أقل تقدير ١,٥٪ من إجمالي الناتج المحلي وهو ما يوازي ٧ مليارات دولار (وهي أكبر تكلفة قد تكلف إسرائيل في كل مواجهاتها مع الفلسطينيين) وجزء كبير من هذه الخسارة هو الاستدعاء الكبير لجنود الاحتياط الذين تركوا وظائفهم، والمتوقع أن تتضاعف هذه التكلفة مع مرور الوقت. في حين تقدر جهات أخرى أن الكلفة الإجمالية للحرب ستكلف خزينة إسرائيل حوالي ٥٠ مليار شيكل (١٢,٥ مليار دولار).



## توقف شركات عالمية

وفي الأيام الأولى للحرب، أوقفت شركات عالمية عدة بعض عملياتها في إسرائيل، أو طلبت من موظفيها العمل من المنزل. فقالت شركة "نستله" السويسرية، إنها أغلقت مؤقتاً أحد مصانعها للإنتاج في إسرائيل "كإجراء احترازي". كما أغلقت مجموعة شركات "إنديتكس" الإسبانية العالمية مؤقتاً ٨٤ متجراً تابعاً لها في إسرائيل، بعد يومين من عملية طوفان الأقصى". إن استمرار الحرب سيزيد من خروج الشركات العالمية من السوق.

## قطاع الطيران

وفي اليوم الثالث لعملية طوفان الأقصى علقت نحو ٤٢ شركة طيران أميركية وكندية وأوروبية رحلاتها إلى إسرائيل، وأجلت هذه الشركات موظفيها من هناك مع تصاعد الأحداث. وفي محاولة منها لإنقاذ قطاع الطيران، وضعت السلطات الإسرائيلية خطة لتقديم ضمان حكومي بـ٦ مليارات دولار لتغطية التأمين ضد مخاطر الحرب لشركات الطيران الإسرائيلية، وسيمنح إطار الضمان هذا شركات الطيران الإسرائيلية وثائق تأمين ضد مخاطر الحرب، وبالتالي ضمان استمرارية العمليات الجوية في إسرائيل.

## قطاع الطاقة

وفي قطاع الطاقة، كانت شركة شيفرون الأميركية قد أعلنت في العاشر من الشهر الجاري، إغلاق حقل غاز "تمار"، قبالة الساحل الشمالي لإسرائيل. وعلقت شيفرون الصادرات عبر خط أنابيب غاز شرق المتوسط تحت سطح البحر والذي يمتد من عسقلان في جنوب إسرائيل إلى مصر. ومن شأن هذه الإغلاقات أن تكبد قطاع الطاقة والغاز الإسرائيليين مئات الملايين من الدولارات أسبوعياً، حسب تقديرات وسائل الإعلام الإسرائيلية.

وقدّرت صحيفة "دمار كر" -التي تعنى بالاقتصاد- أن الحرب على غزة تعرض استثمارات الغاز الطبيعي في إسرائيل للخطر. وتوقعت أن توجه الحرب ضربة قوية لطموحات إسرائيل في أن تصبح مركزاً لتصدير الغاز الطبيعي إلى أوروبا وأمّاكن أخرى. وتغطي حقول الغاز الطبيعي قبالة السواحل الإسرائيلية نحو ٧٠٪ من إنتاج الكهرباء واحتياجات الطاقة في البلاد.

## قطاع الزراعة

تعد أراضي غلاف غزة، التي تعرضت بشكل مباشر لعملة طوفان الأقصى، مصدراً لنحو ٧٥٪ من الخضراوات المستهلكة في إسرائيل، إضافة إلى ٢٠٪ من الفاكهة، و٦,٥٪ من الحليب. وتعرف المنطقة المحيطة بقطاع غزة باسم "رقعة الخضار

الاسرائيلية " وتحتوي أيضا مزارع للدواجن والماشية، إلى جانب مزارع للأسمك. ان اخطر ما جرى ويجري هو عدم قدرة الصناعات الاسرائيلية من الالتزام بمواعيد التسليم والتعرض الى فقدان اسواقها في ظل الركود العالمي المتوقع في العام ٢٠٢٤ وارتفاع حدة التضاحم على الاسواق مع ارتفاع تكلفة الانتاج بسبب انخفاض عدد العاملين من الفلسطينيين المنخفضي الاجور، واستبدالهم بعمالة اجورهم اعلى.

ج- هل سيتم التحكم بعدم اتساع الحرب لفتح جبهات جديدة؟، وهل هناك ذخائر كافية لتغطية حرب على عدة جبهات؟، علما انه يتم تحويل معظم الذخائر التي كانت مقررة لاوكرانيا لاسرائيل لتغطية حرب غزة، حيث تم ارسال الجزء الاكبر من مخزون الذخيرة الموجود في مخازن اسرائيل كما في مخازن الدول الغربية في وقت سابق، لتستهلك في الحرب الروسية الاوكرانية. ان الجسر الجوي والبحري المرسل الى اسرائيل يكفي فقط لمعركة غزة وليس لمعركة متعددة الجبهات.

ان كان الاسرائيلي لا يملك الذخائر لحرب متعددة الجبهات فلما لا يفتح المحور كل الجبهات على اسرائيل فينهيها؟

ان مسارعة القوات الغربية لارسال اساطيلها الى البحر المتوسط وارسال اميركا حاملتي طائرات مع مجموعاتها الى البحر الابيض المتوسط وحاملة طائرات مع مجموعاتها الى الخليج، كإعلان بان توسيع الحرب واسقاط اسرائيل هو خط احمر غربي، والغرب جاهز للصدام مع من يريد توسيع الحرب. لذلك اعلن أمين عام حزب الله حسن نصر الله ان لا انتصار على اسرائيل بالضربة القاضية بل بالنقاط. غير أن ما دخل على خط الحرب هو التدخل اليميني في المعركة وتحركاته في البحر الاحمر والمساعدة الروسية له عبر التسليح والمعلومات الاستخباراتية ومعلومات الاقمار الصناعية، انتقاما من الغرب الذي دعم الاوكران بالسلاح والمعلومات عن اهداف لايقاع أكبر أذى في الجيش الروسي، وهذا سيجعل للحرب تأثيرا عالميا سيؤثر حتى على المواطن العادي.

د- هل ستتحمّل اسرائيل الضغط الدولي والاقليمي لوقف اطلاق النار؟

مع انطلاق العملية العسكرية بدأت اسرائيل بحملة وحشية لتدمير المباني في غزة وقتل المدنيين والاطفال فاقت اي مجزرة حصلت في السنوات العشرين الماضية على الاقل. هذا ادى الى ارتفاع المعارضة الشعبية وقيام التظاهرات الشعبية حول العالم، وخاصة في نيويورك ولندن حيث حدثت واحدة من اكبر التظاهرات في لندن، التي أدت الى تغيير حكومي وتمت إقالة وزيرى الداخلية والخارجية المتطرفين في دعمهم المطلق لاسرائيل في حربها في غزة .

من الصعب تفهم موقف الدول الاوروبية في دعمهم المطلق لاسرائيل كدولة لليهود

في ظل وجود جالية اسلامية ضخمة وجالية يهودية صغيرة. يمكن لمجزرة في غزة أن تؤدي الى انفلات الوضع وقيام الجالية المسلمة من الانتقام من الجالية اليهودية وحدث حرب اهلية، لن تكون الاجهزة الامنية الاوروبية قادرة على السيطرة على الوضع. وعلى الغرب ان يعي ان الغليان في كل مكان وان التجربة التاريخية تقول ان اعنف عناصر داعش واكثرهم دموية جاؤوا من اوروبا لذلك يمكن لتلك البيئة من انتاج داعشيين جدد يقاتلون في اوروبا. فمن كان يتوقع مظاهرات في لندن قدرت ب ٨٠٠ الف متظاهر بالرغم من تهديدات وزيرة الداخلية لكل من يتظاهر ضد اسرائيل بالعقاب.

بالنسبة لأميركا فقد جرت مظاهرات حاشدة ضد استمرار الحرب واستطلاعات الراي المؤيدة بالملق لوقف اطلاق النار في غزة ٦٨٪ من الاميركيين و٥٧٪ من الديمقراطيين (لم تذكر نسبة مؤيدي استمرات الحرب) وقد انقسم الحزب الديمقراطي على نفسه الى ٣ اقسام رئيسية:

أ- المؤيدين بالملق لاسرائيل وعلى رأسهم الرئيس الأميركي جو بايدن. وهذا الجناح مع كل ما تفعله اسرائيل مهما كان بدون تردد .

ب- جناح المؤيد لاسرائيل ويعتبر ان اسرائيل بتصرفها الآن تنتحر ومن واجب اصدقائها حمايتها من نفسها ومنعها من الانتحار، حتى ولو استعملوا القوة لذلك. فقدم قال الجنرال الاميركي المتقاعد دوغلاس ماكريغور وهو يعتبر نفسه من اصدقاء اسرائيل في مقابلة " لو اراد احد اصدقائك الانتحار هل تجلس تتفرج ام تحاول منعة من الانتحار بكل الوسائل المتاحة ". وقال في نفس المقابلة ان احد اصدقائه اليهود قال له " لقد فعلنا ما لم يفعله احد في التاريخ، لقد وحدنا السنة مع الشيعة ضدنا " .

ج- جناح المنظمات الاجتماعية وحقوق الانسان والحيوان والشجر والمثليين والمناخ،.... وتمثلهم نائب الرئيس كاميلا هاريس وهم بالمبدأ ضد الحروب ويعارضون الرئيس الأميركي جو بايدن في دعمه لاستمرار الحرب وهم اكثرية الديمقراطيين.

عند الزيارة الاخيرة لوزير خارجية الصين لواشنطن، تم التفاهم على ضرورة وقف اطلاق النار في غزة، وتم التنسيق مع طهران في الترتيبات اللازمة لهذا الوقف بضمانة صينية واتصل الرئيس الأميركي جو بايدن شخصيا برئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتانياهو ولم يقبل، وسافر وزير الخارجية الاميركي بلنكن شخصيا الى فلسطين، وقاد مفاوضات صعبة، واصطدم بالمؤسسة العسكرية والسياسية، ولم يقبلوا بوقف اطلاق النار او حتى هدنة وهذا يدل على ان اميركا تريد وقف اطلاق النار ولكن اسرائيل لا تريد وما اقوال الرئيس الأميركي جو بايدن

بدعم استمرار العملية العسكرية الا لعدم قدرته الشخصية على الضغط على اسرائيل ولذلك اسباب معروفة وغير معروفة، مع ان قدرة اميركا على ذلك بأساليب مختلفة عديدة.

د- لماذا رفضت القيادة السياسية والعسكرية والامنية وقف اطلاق النار؟ لنفترض وافقت اسرائيل على وقف اطلاق النار ماذا سيحدث. انشاء لجنة تحقيق بما حدث. وهذه اللجنة تؤلف بعد اي حرب تخوضها اسرائيل. ماذا ستكون نتيجة التحقيقات:

١- استقالة رئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو وبالتالي استقالة الحكومة، ونهاية حياته السياسية وسيذهب الى السجن بتهم فساد على الاقل.

٢- اقالة كبار قادة الجيش بسبب عدم الكفاءة العسكرية. وسيذهب بعضهم الى السجن بتهمة اعطاء الاوامر بقتل المستوطنين مع أسريهم كما ذكر سابقا، ومن المرجح ان رئيس الاركان كان من الذين اتخذوا هذا الخيار لذلك كان الاكثر تصادما مع وزير خارجية اميركا انتوني بلينكن.

٣- اقالة القيادات الاساسية في الموساد والشين بيت (الشاباك) بتهمة التقصير وعدم القدرة على معرفة ما يجري مع كل الامكانيات المادية والبشرية المبذولة في هذا المجال.

٤- اقالة الكثير من القيادات الوسطى العسكرية والامنية لبطء التفاعل مع ما حدث (عدة ساعات مرت من بداية الهجوم وبداية التحرك للاجهزة الامنية والعسكرية).  
**المسار السياسي:** بعد معركة بهذا الحجم يجب وجود مسار سياسي لمعالجة الوضع وهذا المسار المتوقع هو حل الدولتين الذي يعارضه جميع اعضاء الحكومة المؤلفة من وزراء يمثلون اقصى اليمين المتطرف الذي بالنسبة اليهم الوضع الحالي وجودهم في الحكومة افضل الف مرة من معارضتهم حل الدولتين من خارج السلطة بعد استقالة الحكومة الحالية. ولو طرح موضوع وقف اطلاق نار دائم داخل مجلس الوزراء الاسرائيلي، لما حصل على صوت داعم واحد.

**بالنسبة للاقليم العربي فان وقف الحرب سيؤدي الى ما يلي:**

أ- اعلان انتصار حماس على اسرائيل (عدم القضاء على حماس انتصار لحماس وهزيمة لاسرائيل) وظهور بطل سني حقق انتصارا كبيرا على اسرائيل ذو خلفية من الاخوان المسلمين المنتشرة في العالم العربي والاسلامي، وهذا يزعج عدد من الدول العربية وقد يهدد عروش بعضها وهو ما لا ترغب به تلك الدول ومستعدة لمنع حصوله.

ب- تمتلك حماس مجموعة كبيرة من الاسرى بعضهم من رتب كبيرة تؤهلها تحرير

جميع الاسرى والمعتقلين في السجون الاسرائيلية امثال مروان البرغوتي والكثير من قيادات فتح الذين نسيهم ابو مازن في السجون الاسرائيلية. هذا الخروج هو بداية نهاية أوسلو وقيادات فتح الحالية، وضعف لأصدقاء اميركا في القضية الفلسطينية. ج-ان اعادة اعمار غزة ستستلزم الكثير من المساعدات التي ستدخل غزة وهذه المساعدات ستقوي موقف حماس في داخل غزة.

د-ان تجربة انتصار حزب الله ٢٠٠٦ قد حول حزب الله الى قوة اقليمية كبرى يحسب لها حساب في المعادلات الاقليمية والدولية حتى اصبح الشغل الشاغل للدولة الاميركية الدولة الاقوى في العالم اقناع حزب الله من عدم الدخول في حرب ضد اسرائيل المعتبرة اقوى قوة في الشرق الاوسط. فماذا يمنع حماس من السير على نفس الطريق؟ وبذلك تصبح قوة كبيرة موجودة على حدود اسرائيل من جهتين (غزة، ومستقبلا الضفة الغربية) وعلى حدود سيناء (وهذا سيعني انتشار مكثف للجيش المصري في سيناء لضبط الامن وهذا يعني انتهاء شق الترتيبات الامنية والعسكرية لاتفاق كامب ديفيد على الاقل) وعلى حدود الاردن من قطاع غزة مستقبلا .

كما نرى فان المتضررين من انتصار حماس كثر ومتربعين على السلطة ولن يقروا بفوز حماس بسهولة.

هنالك سؤال مهم لماذا اصرار الرئيس الأميركي جو بايدن على الاستمرار في دعم العملية العسكرية الاسرائيلية رغم اقتناعه بضرورة وقف اطلاق النار وبذل جهود حثيثة لاقتناع اسرائيل بذلك؟ وهل هذا لعدم القدرة على الضغط على اسرائيل ام ماذا؟. لا احد يجادل على قدرة اميركا في الضغط على اسرائيل. ان استمرار دعم اسرائيل يضعف الحزب الديموقراطي شعبيا ويفكك الحزب من الداخل كما ذكرنا سابقا وهو على ابواب بدء جولة تحديد مرشح الحزب الديموقراطي للانتخابات الرئاسية التي ستجري في ٢٠٢٤ وهذا يعتبر بمثابة انتحار سياسي.

### السيناريوهات المتوقعة :

- ١- غياب أي ملامح لوقف اطلاق النار فإن السيناريوهات المتوقعة مستقبلاً هي ؟:
- ١- غياب الرئيس الأميركي جو بايدن عن السلطة واستلام نائبته كامبلا هاريس.
- ٢- اقتناع المتحكمين بالرئيس الأميركي جو بايدن ان اسرائيل على شفا انهيار حقيقي والطلب منه التدخل لوقف الانهيار ووقف اطلاق النار.
- ٣- ازدياد حجم المظاهرات في الغرب الى حدود امكانية الخروج عن السيطرة.
- ٤- حدوث حالات انتقام جدية للمجازر ضد الفلسطينيين من الجاليات اليهودية ومصالحها حول العالم.

- ٥- حدوث اضطرابات في الانظمة الصديقة لاميركا في المنطقة العربية والاسلامية.
- ٦- قرار محور المقاومة توسعة الحرب مهما كانت تكلفتها.
- ٧- شعور الجيش الاميركي بالخطر الجدي على قواعده العسكرية في المنطقة، وعدم قدرته على تحمل الخسائر المرتبطة بالدعم الاميركي لاسرائيل. الجيش هو القوة الحقيقية في النظام الاميركي وهو يملك كثير من ادوات الضغط داخل النظام .
- ٨- عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على تحمل الخسائر البشرية، وظروف القتال (يستعمل الجنود الحفاضات لقضاء احتياجاتهم الانسانية داخل دباباتهم ثم يقومون برميها بعد استعمالها دون الخروج من الدبابة) بسبب الاصابات العالية داخل الجيش كما ذكرنا سابقا. وهذا قد يؤدي الى تحركات شعبية لاجبار الحكومة على وقف اطلاق النار، او حصول تمرد داخل الجيش او الاثنين معا.
- ٩- ان اعلان صحيفة هآرتس الاسرائيلية ان الجيش الاسرائيلي هو المسؤول عن مجزرة الحفل الغنائي الذي ادى لقتل بين ٢٥٠ قتيل و ٥٠٠ قتيل اسرائيلي بقيام سلاح الجو باطلاق النار على المحتفلين وتصريح مدير المدافن للجيش الاسرائيلي انهم يدفنون عدد كبير من الجنود يوميا بمعدل جندي في الساعة بينما عدد الوفيات حسب الجيش الاسرائيلي واحد الى اثنان يوميا. وقد صرح ايهودا باراك بأن اسرائيل هي من بنت الملاجىء في مستشفى الشفاء بواسطة مقاولين يهود اثناء احتلالها غزة سابقا وهذه الملاجىء هي التي ادعت اسرائيل انها اكتشفتها وانها كانت مركز قيادة لحماس. هذا سيؤدي الى تزعزع ثقة الجمهور في الجيش الاسرائيلي، والجهة الوحيدة التي كان يجمع عليها الاسرائيليون هو الجيش الاسرائيلي في ظل التشرذم للقوى السياسية التي لم يعد يجمعها شئ حتى اثناء الحرب . فمن هي الجهة التي سمحت بتسريب الاخبار؟، وما هي اهدافها من اثاره الجمهور ضد الجيش الاسرائيلي كأداء ومصداقية، وهي جهة نافذة حتى تستطيع تمرير الاخبار وحماية المسربين؟ هذه بداية مسار لا نعلم الى اين سيصل.
- ١٠- ان قيام الجيش اليمني باحتجاز الباخرة في البحر الاحمر هو تطور بارز في الصراع ، يحول الصراع من محلي ذات مخاطر توسع اقليمي الى صراع ذات تاثيرات دولية. حيث تمر حوالي ١٣٪ من التجارة الدولية من البحر الاحمر. هذا يؤدي على الاقل الى ارتفاع كبير في كلفة التأمين على السفن والبضائع، وهذا سيؤدي الى ارتفاع اسعار البضائع والذي سيولد زيادة الغضب في الغرب وخاصة اوروبا من استمرار الحرب في غزة، وهذا سيضطر الحكومات الى الضغط على اسرائيل لوقف الحرب (لا شئ يؤثر في الغربيين اكثر من محافظتهم).
- ماذا لو هزمت حماس وهو احتمال ضعيف؟ . ان هزيمة حماس تنتج من احتمالين:

أ- انهيار القيادة المركزية لحماس وعدم قدرتها على قيادة القوات والتحكم بها وستصبح كل مجموعة تعمل لوحدها مما يجعل توقف القتال صعبا ان لم يكن مستحيلا .

ب- نجاح الجيش الاسرائيلي في الوصول الى قيادة حماس وقتلها او أسرها وهذا سيحرر القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية من هزيمة ٧ اكتوبر. في كلتا الحالتين سيبقى هناك عشرات الآلاف من المقاتلين والكوادر العسكرية والتقنية التي تدرّب بعضهم خارج قطاع غزة، وسيستطيع الممولون الوصول الى الكثير من هذه المجموعات والتعامل معها بالمفرق وليس كحركة واحدة وستتبارى هذه المجموعات بالعمليات ضد الاسرائيلين، ومن يوقع خسائر أكبر بهم ، للحصول على موارد ودعم اكبر، وفي ظل وجود الآلاف من الايتام في غزة نتيجة الحرب، فان الموارد البشرية اللازمة لحرب اخرى اكثر دموية واكثر عنفا بما لا يقاس متوفرة، ولن يستطيع احد السيطرة على غزة ، وستكون كل مشاريع السيطرة او هام غير قابلة للتحقيق (قوات دولية، قوات اسلامية، قوات عربية، قوات مصرية، قوات ابو مازن،...) ولن يكون اي تفاهات للتهديئة (لن تستطيع اقامة تفاهات تعايش مع اعداد كثيرة)، ولن يعود المستوطنين الى حزام غزة، وسيترحم الاسرائيليون والعالم على ايام حماس كما يترحمون الآن على ايام منظمة التحرير وأوسلو.